

البيت متحف

البيت من أخص الأشياء التي نملكها . فقد نقضى أسهم الشركات أو مئات أو آلاف الجنيهات أو قد نشترى عربة نستغلها ونعيش في إحدى المدن من غلتها ولكن ليس لواحد من هذه المقتنيات تلك العلاقة الحميمة التي تربطنا بالبيت . لأن له خصوصية بنا ليست لغيره . ونحن نقضى فيه معظم نهارنا وجميع ليلنا ونعاشر فيه أولادنا وزوجتنا ونجد فيه الراحة بعد كدّ النهار . كما أننا نطبع عليه شخصيتنا لأننا نتخير له الأثاث ونتأق في ترتيبه . ومن هنا هذا الحنين الذي نحس به عقب اغتراب عنه بضعة أسابيع أو أشهر ولو كان هذا الاغتراب في مصيف أو مشى للراحة والاستجمام .

وعند بعض الناس يعد البيت مأوى أو مطعماً . ولذلك سرعان ما يتركونه إلى القهوة أو النادى أو الحانة حيث يجدون رفاهيتهم مع الاصدقاء أو في لذة الشراب . ولكن هؤلاء البعض ليسوا في الغالب على حال سوية نفسية إذ هم يكظمون أشياء من علاقة زوجية سيئة الى قلق اقتصادى أو حرقى أو نحو ذلك . ولفرارهم من البيت معنى رمزى يسهل تفسيره بالتحليل النفسى .

والبيت مشتق لغة من فعل « بات » أى أمضى الليل . وهو بهذا الاشتقاق يدلنا على الضرورة الأولى التى اقتضته . ولكن الإنسان فى طورنا الحضارى لا يقنع بالضرورات إذ هو قد ساء إلى كثير من الكماليات . وهو يطلب من البيت أكثر من المأوى والمطعم . وقد نصحننا فى فصل سابق بأن يمنح الزوجان من وقت لآخر إلى المطاعم العامة وبأن يحال غسل الملابس إلى حيث تغسل بالأجر بدلا من إحالة البيت إلى ورشة للغسل والبطخ طوال اليوم .

والوضع الاجتماعى القائم يجعل البيت المكان الطبيعى للمرأة . وليست الحال كذلك للرجل . ولكننا نبالغ فى تأكيد هذا الوضع حتى لكان المرأة قد خلقت للبيت . وليس العكس . وهذه المبالغة تنتهى بأن تجعل من البيت محبسا لها يفصل بينها وبين النشاط الاجتماعى الذى يجب أن تدخل فى غماره وتتأثر به وتؤثر فيه . إذ هى قبل أن تكون « ربة بيت » ، انسان ، له مركزه الأكبر فى هذا الكون قبل مركزه الأصغر فى البيت .

وهناك فرق بين السرور والسعادة . الأول مادم بشأن المواد التى نقتنيها ونستمتع بها . والثانية فكرية بشأن الغايات والمثلليات . ولكن ليس شك فى أن أقرب المسرات إلى السعادة هو الحياة

العائلية السامية . لأن البيت مادة وفكرة أى انه مأوى ومطعم ومتحف كما هو عائلة تقوم على علاقات روحية وتهدف إلى مثليات وتحقق أمانى كثيراً ما تحملنا على أسى المجهودات .

والبيت السامى العصرى هو معهد حر يحدد فيه أعضاؤه حرية الفكر تسود جميع المناقشات النيرة فى ديمقراطية اجتماعية وتربية ذهنية وأخلاقية . وهو وحدة المجتمع الذى تتألف منه الأمة . وكل عناية بالبيت اماهى فى النهاية عناية بالأخلاق الحسنة والسلوك البار . لأن الأطفال عندما يشبون يعاملون أفراد المجتمع بالقيم والأوزان التى تلقوها فى البيت أيام طفولتهم .

ثم نحن نعيش فى البيت نحو سبعين سنة أى نعيش هذا القدر باجسامنا ولكننا نعيش بنفوسنا أكثر من هذه السنين لأننا نحس نفسياً أن عائلتنا منا وان حياتنا مندغمة فى حياة أفرادها ولذلك يمتد احساسنا للبيت إلى مقدار من السنين يتجاوز حياتنا وهذا الاحساس يجعلنا نستعين بأى مجهود لترقية البيت .

ثم للبيت خصوصية بنا كأنه البذلة التى نلبسها على قد قامتنا فنعتنى بتفصيلها حتى تتخذ قسماً أعضاءنا مع ما قد يكون بها من نقص . ولذلك نحن نؤثر البذلة التى فصلها الخياط على بذلة

جاهزة قد أخذ القياس فيها بالتعميم وطرأ السن وليس بالتخصيص والعناية الخاصة بكل فرد .

ويعد البيت لهذا السبب « مركب » ، نفسى والحنين اليه أحد مظاهره . وقد وجد البيت لذلك حرمة فى كثير من الأمم المتقدمة . فلا يجوز للدائن بيعه أو بيع أثاثه مهبها بلغ الدين الذى يحمله صاحبه . كما قد أجازت الأمم امتلاك المسكن الخاص فى المبنى العظيم الذى قد يحوى عشرين أو ثلاثين شقة . وذلك تشجيعاً لهذه الخصوصية التى تحمل صاحب البيت على الارتباط والعناية به . لأنها لحظت أن للبيت أثراً تقويمياً للأخلاق . فكما أن المتزوج أقل جرائم واستهتارا من الأعزب لارتباط الأول بزوجه ، كذلك صاحب البيت أقوم أخلاقاً من لا يملك بيتاً لمثل هذا الارتباط .

وفى الحياة يقتضينا أن ننظر إلى الحياة نظرة فنية فنختار الأثاث فى دراية وعناية مع الاستقلال حتى ولو خالفنا العرف فى هذا الاختيار . لأن العرف بطبيعته طراز تعميمى . ولكن الشخصية المستقلة تطلب التخصيص والانفراد . والبيت يتسع للاتجاه الفنى حتى يعود بالتأنيق متحفاً . وكثير من البيوت التى امتاز أصحابها بالثراء قد صارت متاحف . ولاكها مع الأسف

متاحف قد أسىء فيها الاختيار . حيث أخذت الأبهة المطهمة
مكان الفن الأنيق .

ولكن مع ذلك يحب أن نعترف أن الثراء في أيامنا يستطيع
أن يجذب إلى البيت أنفخ الاثاث الذى يضع تصميمه ويرسم
مواصفاته فنانون فقراء . ولذلك يشق على غير المتيسرين أن
يجعلوا الفن سائداً في بيوتهم فضلاً عن إحالتها إلى متاحف .

فهناك آنية فنية معجبة تزدان بها الموائد عند الأغنياء . ولا
يستطيع غيرهم شراءها . وقل مثل هذا في سائر الاثاث أو
بالأحرى معظمه . ونقول في « معظمه » لأن كثيراً من الاثاث
الغالى فى الثمن لا نجد فيه غير الأبهة السخيفة مع القبح العظيم
لأن الذين صنعوه قصدوا إلى كثرة التكاليف التى تبرز وفرة
المال عند المقتنين لهذا الاثاث دون الالتفات إلى التألق الفنى
نذكر من هذا سريراً رأيناه من النيكل له قبة كأنه أريكة
جنكيزخان أو عرش تيمورلنك . وكل ما فيه من ميزة أنه يباع
ببضع مئات من الجنيهات .

وكم قد رأينا من مقاعد مذهبة وكنبها منجدة وهناضد
ومرايا متعددة حتى لا يدخل أحدا منا منظره الضيوف فيحس كأنه
في قاعة أثاث قد عرضت أشياءها للزاد .

والفن أيسر من هذا . ولكنه مع ذلك لا يتوافر لغير المتوسطين المدبرين الذين يختارون عن دراية وفهم . وليس هذا شاقا إذا جعلنا همنا في جمع الآثار ممتدا على سى العمر أى لا نشترى آثار البيت دفعة واحدة كما هو المألوف في بلادنا بتجهيز العروس بأثاث بيتها . لأننا حين نفعل هذا نجتمع الآثار في عجلة وفقاً لطراز العصر أو السنة . وقد يكون طرازاً سيئاً أملتة نزوة وقتية زائلة . وإما يحسن أن نختار الآثار قطعة بعد أخرى مع التغيير الذى يقتضيه ارتقاؤنا الفنى على مدى السنين .

ويجب أن نقتنى أجود الآثار فلا نتساح في الجودة والقيمة الفنية . وهذا ميسور مادامنا لا نزحم أنفسنا ونرهق جيبنا في شراء مجموعة كبيرة دفعة واحدة . وبذلك تجمع تحف الآنية والرسوم والكتب وسائر الآثار . ويعود البيت متحفاً جميلاً يحوى أكثر ما أخرجته حضارة فرنسا والصين وألمانيا ومصر وغيرهن .

وإذا كان رب البيت أو ربه على شىء من ثقافة معينة استطاعت أن تجعل البيت متحفاً لثقافتها . وكثيراً ما يدخل أحدنا بيتاً لأحد المثقفين فيجد فيه الطرف العجيبة التى اكتشفها من

أحجار أو محار أو معادن أو أحياء أو غير ذلك . وهذا بالطبع لا يتفق لكل منا .

ولكن الشيء المهم الذى نقصد اليه أن يجد البيت منا عناية فنية فى تأثيثه . وأن ننظر اليه كأنه متحف عائلى يجمع طرف الجدود والأحفاد فيتخذ بذلك سمة من سمات الخلود فلا يكون مادة بل فىكرة .

البيت للضيافة

للبيت خصوصية عائلية يحس بها أعضاؤه فيما يشبه المؤامرة . ذلك أن لهم أسراراً وأهدافاً وأساليب يتفقون عليها في مجتمعهم الصغير ولا يفشونها لغيرهم . وهذه الخصوصية تربطهم وتزيد إحساسهم العائلي

ولكن البيت يجب ألا يستأثر بعلاقاتنا الاجتماعية . ومهما تمتدح ارتباط الأبناء بالآباء والزوج بزوجته ، ومهما يكن الجو العائلي من حيث التعلق الحميم بين أعضاء البيت ، فإن البيوت تحتاج إلى تهوية اجتماعية بالضيافة والزيارة ، والمبالغة في الارتباط العائلي هي شطط الفضيلة ، فضيلة التعلق العائلي

ولكن فرد منا حياة سرية أو كالسرية كأنها العقل الكامن في النفس يوجهنا من حيث لا ندري ، ولكل منا أيضاً حياة اجتماعية علنية كأنها الوجدان الذي ينتقد ويحاسب ويراجع . والحياة السوية هي تلك التي تصالح بين الكامنة والوجدان وتوفق بينهما ، ففي البيت نحن نختمر ونتهبأ . وفي المجتمع نحن نتكشف ونباشر . ويجب لذلك أن نعنى بالضيافة والزيارة لأنهما وسيلة الإتصال بين البيت والمجتمع

يجب أن نعى بالبيت أجل العناية حتى نجعله متحفاً يحوى
تراث الجدود وطرف الحضارة والأوان الرفاهية . وليكن يجب
أن نتوفى حبة الجدران لأنها تحبس النفس عن التوسع
والنمو والترقى

ولذلك نصحبنا بضرورة الخروج من وقت لآخر إلى المطاعم
العامة أو المتزهات الخلوية . ولذلك نصحبنا أيضاً بضرورة
التخفيف من أعباء البيت حتى لا يستحيل إلى ورشة لا ينقطع
العمل فيها للطبخ والغسل

والضيافة من الفنون الراقية التي يجب أن نفصلها من
فضيلة الكرم . ذلك لأننا نقرن الكرم إلى الموائد المظلمة
والأوان الطعام السخية

والضيافة العصرية بعيدة كل البعد عن هذا الشره المادى .
وقد أنارتنا السيدة نظلة الحكيم فى محاضرات مختلفة عن
الضيافة العصرية التي يجب أن يكون هدفها ترقية العائلات
بالتعارف والتنوير

وفى مدينة مثل القاهرة حيث تتعدد المطاعم وتختلف على
موائد الأوان لا يكون من مفاخر ربة البيت أن تعد
لضيوفها مائدة يتوسطها الدندى وتحتشد عليها اللحوم والحلويات .

وإستطيع وجيهه فى الرف أن يزودنا بهذه المائدة المادية ولكنه
يعجز عن أمتاعنا بالضيافة المهذبة المنيرة

وخير من العناية بالطعام أن نعى بالأثاث فى إيجاد مقاعد
مریحة للضيوف لا تكون للزينة ولكن للراحة

ولذلك يجب أن نستبعد من أذهاننا فكرة الكرم الشرقى
حين نذكر فى الضيافة الراقية. وصحيح أنه لابد للضيافة من شىء
أو أشياء من الطعام والشراب . ولكن يكون ذلك فى حدود
التعقل والإعتدال . لأننا حين نستضيف أو نستضاف نؤثر
غذاء النفوس على غذاء البطون ونهوى الاستماع إلى حديث
يعلمنا وينيرنا كما نحب لقاء الشخصيات الفذة التى لا يتيسر لنا
لقاؤها إلا فى مثل هذه الفرص

ولذلك يجب أن ندرس فن الضيافة باعتباره جزءاً خاصاً
من الحياة العامة . فنعين للعائلة يوماً كل أسبوع للضيافة ونجعل
الشأى أو المشلجات مع القليل من الاطعمة الخفيفة كالسندويتش
كل ما نقدمه للضيوف . وتقديم الشأى خير من اعداد العشاء
ذلك لانه يتيح سهرة طويلة تبدأ من الساعة الخامسة وقد تنهى
فى الساعة التاسعة أو العاشرة ثم هو لا يهظنا بتكاليفه فيثبطنا
عن المواظبة

ويجب أن يكون للضيافة الحسنة بؤرة تجمع الضيوف .
وقد يكون رب البيت أو ربة هذه البؤرة إذا كان أحدهما ممتازاً
له مكانة اجتماعية أو أدبية أو اختبارات نشأت إلى الوقوف
عليها . كأن يكون أحدهما عضواً في جمعية لها نشاط معين .
ولكن إذا لم يكن هذا متيسراً فإن من الحسن أن تدعى شخصية
ممتازة أو ترتب محاضرة في موضوع يهتم له الضيوف . ثم
يتناقش الضيوف . ولسنا نقصد إلى أن نقول أنه يجب إيجاد
محاضر فذ في كل ضيافة . فإن هذه الحال المثلث لا تتوافر على
على الدوام ولكن ربة البيت التي تتجه هذه الوجهة تستطيع ،
في غياب المحاضر أن تجعل الحديث يدور حول موضوع سياسي
أو اجتماعي يشغل الضيوف وينبهمهم

والضيافة ، كما قلنا ، تهوية اجتماعية للبيت . وهي تحرك
أعضاء العائلة والضيوف إلى ما يشبه المباراة الفنية في الزى
واللغة والشخصية . كما أنها ، أي الضيافة ، تربي أبناء البيت الناشئين
على الموانسة الاجتماعية فلا ينمو الصبي ، ثم الشاب ، في حياة
انفرادية معزولة . وقد ينشأ خاماً مربوك الحركة ثقيل اللسان
لا يعرف كيف يتحدث إلى آنسة أو كيف يشترك في سمر

مهذب منير

وهناك كتب كثيرة في اللغات الأجنبية تصف فن الضيافة
سواء من ناحيته المادية بتهيئة الطعام والشراب الخفيفين
أو ناحيته الاجتماعية بإيجاد ألوان من السمر المسلي
وفن الضيافة يقتضى العناية باختيار الأصدقاء والمحافظة
على صداقتهم فان الاهتداء إلى صديق والاستمتاع بصداقته
طوال العمر أو معظمه هما حظ عظيم ومتعة سامية لمن يوفق
اليهما . والصداقة لا تنهض ولا تعيش إلا على أسس من العلاقات
الروحية التى أثمرها اشتراك فى الثقافة أو الأهداف والمثلّيات
الاجتماعية